ليلة من ألف ليلة وليلة

صوت إبليس

للاستاذ محمد مصطفى صالح المنفلوطى

.. واستوى الملك على عرشه غير بعيد ، ثم دار بنظره يتأمل الستائر المسدلة كأنه ينتظر منها شيئاً تأتيه ، وكان ما يتوقع . فقد تموجت الستائر وانفرجت عن فتاة تجاوزت العشرين بقليل ، مكتملة الجمال ، لها دالة فى مشيتها وسحر فى نظراتها ، ووقار فى مجمل هيأتها . كانت هى بعينها (شهرزاد) التى كان ينتظرها الملك لليلة الثامنة والثمانين بعد الستمائة. ثم حيت الملك خاشعة فحياها مبتسماً وأخذت مكانها قريبة منه ثم قالت :

ـــ هل لك أيها الملك فيما سمعت من أخبار الغناء والمغنين ؟

قال الملك : هات ما عندك .. !

فتأهبت شهرزاد للكلام وقالت :

أيها الملك السعيد ، تناقل الناس عن أبى اسحق إبراهيم الموصلى أنه قال : استأذنت الرشيد فى يوم أقضيه بين عشيرتى وإخوانى فأذن لى . فأخذت طريقى إلى منزلى حتى بلغته . وأمرت فأعد لى طعامى وشرابى. وأمرت بالأبواب أن تقفل وأن لا يؤذن لأحد بدخولها. وجلست والجوارى قد حففن بى ينادمننى ويتضاحكن. وبينما أنا كذلك وإذا بشيخ تعلوه هيبة ووقار ، عليه ثياب بيض ، وعلى رأسه طيلسان، وفى يده عصا مقبضها من فضة . فعجبت لدخوله وكيف أذن له الغلمان وتملكنى غضب شديد وقمت فنهرت الخدم. ولكن الشيخ تقدم فسلم على أحسن سلام . فهيأت له مكاناً ليجلس ، ثم جلس. وبدأ يحدثنى حديثاً خلته غريباً على أذنى. وسرعان ما تبدد ما بى من غضب واستأنست بالرجل فقلت له : هل لك فى طعام .. ؟

فقال : لا . قلت : هل لك فى شراب؟ قال لك ذلك . قال أبو اسحق : ثم شربنا . فقال الشيخ يا أبا اسحق هل لك أن تغنينا شيئاً فنسمع ... ؟ عظم ذلك على نفسى ولكن على الرغم من ذلك فقد تناولت العود وضربت وغنيت. فقال أحسنت يا أبا إسحاق. فغاظنى منه ذلك فإنه لم يقنع بدخوله بغير إذن ومناداته لى باسمى مع جهله مخاطبتى وقوله: زدنا ونكافئك .

وتناولت العود على مضض وغنيت وتحفظت فطرب وقال أحسنت يا سيدى . هل تأذن لى فى الغناء ...؟ قلت : تفضل . ثم تناول العود ولعب فخلت العود ينطق بلسان عربى ثم غنى :

ولى كبد مقروحة من يبيعنى
بها كبداً ليست بذات قروح

أباها على الناس أن يشتروها
ومن يشترى ذا علة بصحيح
أئن من الشوق الذى بجوانحى
أنين غصيص بالشراب قريح

قال أبو إسحق: ظننت أن الأبواب والحوائط تغنى وتجيبه، وأحسست بجوانبى تهتز وقلبى يخفق، وبهت لا أستطيع كلاماً ثم سمعته يغنى ثانية:

ألا يا حمامات اللوا عدن عودة
فإنى إلى أصواتكن حنـــين
فعدن على أيك فكدن يمتننى
وكدت بأسرارى لهن أبين
فلم تر عينى مثلهن حمائمـــا
بكين ولم تدمع لهن عيون

ثم انتهى الشيخ من غنائه وطرح العود بجانبه فتعلقت به أرجوه المزيد فأبى وقال: يا ابراهيم غن ما غنيت أنا ولقنه جواريك؟ فقلت أعده على مرة أخرى حتى آخذه عنـــك فقال: لست تحتاج فإنك قد عرفته. فأغمضت عينى أستوعبه. ثم نظرت فلم أجد الشـــيخ فقد اختفى من بين يدى وغاب عن ناظرى. فدهشت وقمت لفورى إلى السيف فسللته من غمده فقد خشيت أن يكون قد انسل إلى حرمى ولكنى لم أجده وقلت للجوارى: ما سمعتن؟ فقلن: سمعنا غناء لم نسمعه من قبل. فهرولت إلى الباب وسألت الحارس عن الشيخ فقال ما رأيت أحداً دخل الباب أو خرج منه. فتحيرت فى أمره واعترانى ذهول غريب. وبينما أنا كذلك إذا بصوت ينبعث من جدار المنزل وهو يقول: «يا أبا اســـحق أنا أبو مرة كنت نديمك الليلة فلا تجزع». عرفت فيه إبليس فذهلت حيناً أتذكر صوته وما لقننى إياه.. ولشد ما دهشت حينما وجدته راسخاً فى صدرى تردده جوانبى وينطق به لسانى وقد شغلنى فرحى بإلقائه أمام الرشيد عن التفكير فيما أتيت من أجله فأسرعت اليه فقصصت عليه الخبر وما كان من أمرى وأمر إبليس فقال الرشيد: على بالأصوات التى سمعتها. قلت لك ذلك فأعد الشراب ودارت الأقـــداح وقلت على بالجوارى يسمعن. فأمر الرشيد بالجوارى فهتكن الستر وبرزن فى صف منتظم ثم وقفن فى خشوع ينتظرن أمراً ويسمعن خبراً. ولكن ابراهيم تناول العود، ففهمن أن هنـــاك جديداً يريد أن يسمعهن إياه فأنصتن. ووقع إبراهيم على العود وغنى ما سمع من إبليس كما لقنه إياه فجعل الرشيد يهتز والجوارى ينصتن حتى فرغ من الغناء، فطرب أيما طرب وأمر لإبراهيم بصلة. ومن ثم شاع صوت إبليس على ألســـنة تلاميذه ابراهيم وجوارى ابراهيم.

...

قالت شهرزاد، هذا ما كان من أمر إبليس والموصلى أيها الملك السعيد.. أما..
ولكن الصبح انفلق، وأدركهما النور. فسكتت..
وإلى اللقاء..

أعظم المحلات لتوريد الأدوات الموسيقية - بالقطر المصرى :

القاهرة :
٩ شارع
عدلى باشا
ت : ٥٤٤٠٧

بابازيان وشركاه
مصر - اسكندرية

PAPASIAN & Co.
LE CAIRE - ALEXANDRIE

الاسكندرية :
٧ شارع
فؤد الأول
ت : ٢١٧٨٠

(أنشئت سنة ١٨٨٥ ميلادية)

يوجد بالمحل : بيانوات من اشهر الماركات ؟ راديوات ماركات عالميـــة

جراموفونات كهربائية

محلاتنا بها ورش مستعدة لتصليح وإيجار جميع أنواع البيانوات

وتصليح الراديوات ومبيع قطع غيار

يباع بمحلاتنا جميع الآلات الموسيقية الوترية والإيقاعية وآلات النفخ بأنواعها

كتب ومؤلفات ومقطوعات ومطبوعات موسيقية

التعبير الموسيقي

من إذاعة مدرسية للدكتور محمد شرف الدين سليمان

سأتحدث اليوم اليكم عن موضوع التعبير الموسيقي أو بمعنى آخر التصوير الموسيقي .

وقبل أن نطرق الموضوع علينا أن نحدد معنى بعض الكلمات حتى نكون على بينة من الهدف الذى نصبو اليه .

أولا : ماهو المقصود بكلمة « التصوير » ؟ كما أعلم ، وكما تعلمون ، المقصود بهذه الكلمة هو نقل الشكل حرفيا . . . مصغرا أو مكبراً على الورق أو القماش ، وبمعنى آخر ترجمة لبعض الأشياء التى تقع عليها أبصارنا . وهذه الترجمة التصويرية هى من صميم فن الرسم ، ومادة هذا الفن هو : الخط واللون .

ولنتساءل الآن : هل فى الموسيقى خطوط وألوان ؟ حتى نتمكن من تصوير ماتراه العين أو ما يرويه الخيال ؟

لم لا ! ! استمعوا بانتباه الى الموسيقى تجدونها مكونة من عنصرين أساسيين : الأيقاع والنغم .

فالخط فى فن الرسم يقابله الايقاع فى فن الموسيقى واللون فى فن الرسم يقابله النغم فى فن الموسيقى وسأضرب لكم مثلا بسيطا :

من منكم لا يستطيع أن يميز إيقاع خطوات والده أو اخوته وهم صاعدون أو نازلون على السلم ؟

ومن منكم لا يستطيع أن يميز بين النقر الخاص لكل من الوالد والوالدة والأخوة والأصدقاء ؟

ما من شك أن فى استطاعة الأكثرية منا تمييز هذه الخطوات وهذا النقر .

وبذلك نستطيع أن نعرف طارق الباب قبل أن نراه .

فلكل منا سلوك خاص يمتاز به عن غيره فى طريقة مشيه ونقره على الأبواب .

وبعد أن بين أمثلة عملية قال :

حينئذ نستنتج من هذا أن الايقاع وهو الخط فى فن التصوير له فائدة كبيرة فهو فى الواقع يعطينا شخصية الشيء الذى نترقبه . وفى طريقة الإيقاع تظهر شخصية الشعوب .

هكذا أيضاً الحال بالنسبة للون والنغم .

. . .

حينئذ نخرج من هذا البحث الموجز بأن هناك أيضاً تصوير فى الموسيقى .

وبما أننا قد وصلنا إلى هذه النتيجة علينا أن نذهب إلى أبعد من هذا فنقول إن فى إمكان الموسيقى أن تعبر عن أشياء تقصر عنها الكلمات ويعجز أمامها التعبير اللفظى . وتقف عندها كافة الفنون . وذلك يرجع إلى أن الموسيقى تستمد مادتها من عالم بعيد كل البعد عن عالم المادة التى نحيا فيها ، ألا وهو عالم الخيال . . . عالم الروح وعالم الخلود .

وللموسيقى تأثير كبير على النفس وأثرها فعال

على كافة المخلوقات الحية وكذلك أيضاً بالنسبة للجماد .

ولقد صدق العقاد عندما قال عن الموسيقى :

معلمة الأنسان ما ليس يعلم
وقائلة مالا يبوح به الفم
وكامنة بين النفوس بداهة
وما علمت فى مهدها ما التكلم

إلى أن قال .

إليك تناهى كل علم ومنطق
فسيان منطيق لديك وأعجم

نعم : الموسيقى لغة عالمية إذ أنها تترجم وتعبر عن إحساسات الانسانية ومشاعرها . ويتذوقها الفرد من كل شعب لأنها تصل بين قلبه وبين سحرها برباط من العواطف . والعواطف عالمية . فقد تختلف الطباع والغرائز والمذاهب الدينيـة والسياسية . . إلى غير ذلك . . . ولكن الظواهر الروحية الانسانية لا تختلف بتاتاً فيما بينها : إذ أنها وليدة العواطف والوجدان . والموسيقى مصدر العاطفة الانسانية . . إذاً فهى عالمية فى تعبيرها .

وبعد هذا قدم شرحاً لما اشتملت عليه قطعة موسيقية تعبيرية مسجلة فقال :

قصتنا التصويرية هى للموسيقار الفرنسى سان سان وعنوانها « قصة الأرواح » أو « رقصة الموتى » وهى تتخلص فيما يلى :

رجل يمشى متثاقلا بخطوات متتابعة بطيئة . . بين القبور . . وإذا بروح تتغنى بين هذه القبور فينصت إليها وهى تحاول أن توقظ جميع الأرواح وتدعوها للهبوط إلى المدينة حيث كانت على قيد الحيـاة . . فتستيقظ الأرواح متثاقلة وترقص رقصتها . . . ثم تطير فى الفضاء البعيد وتنتشر فى العالم الفسيح حيث كانت تعيش . . .

فإذا بها تجد نفسها فى عالم لم تتغير أهدافه : حياة كلها كفاح وتماسك بأهداب الكد والكدح لنصرة المادة فى عالم الحيـاة . . ثم أخيراً . . . الموت المحتوم .

فترتفع فى السماء وتقفل راجعة إلى مستقرها بينما ينفخ البوق مناديا وفى اللحظة الأخيرة نستمع إلى آخر كلمـة للروح الأولى وهى محور القصة فنسمعها تقول :

هكذا تلعب بنا المقادير

. . .

وعلى أثر هذا الشرح قدم تسجيلا موسيقياً تعبر ألحانه عن تلك القصة التى قام بشرح معانيها وإيضاح عبرتها وتسلسل حوادثها .